

المنظومة التعليمية بزوايا الطريقة الرحمانية زاوية الهامل أنموذجاً (1830____1914)

د. بوكسية محمود. قسم التاريخ. جامعة المسيلة - الجزائر-

الملخص:

في ظل نظام عثماني نشأت الطريقة الرحمانية مستعملة التعليم كأحد أسسها، وإمام الغزو الفرنسي طورت منظومتها التربوية عبر زواياها وكانت تهدف من وراء ذلك إلى تكوين فردا صالحاً، مطيعاً لربه، محبا لوطنه خدوماً لمجتمعه.

ورغم بساطة منظومتها التربوية إلا أنها استطاعت بفضلها من تخرج علماء وأجيال من المثقفين حملوا المشعل إلى الأجيال الأخرى وحافظت على اللغة والهوية والدين.

مقدمة:

عرفت الطريقة الرحمانية بأن مبادئها تمثلت في العلم والتصوف والجهاد، فأمام سلطة عثمانية لا تعير للعلم أي اهتمام ركزت الطريقة الرحمانية على التعليم، ومع الغزو الفرنسي للجزائر وبتابعه لسياسة تهدف إلى القضاء على مقومات الأمة وهويتها، طورت الطريقة الرحمانية أسلوبها في التعليم عبر زواياها وفق منظومة تعليمية متكاملة ككل زوايا الطرق الصوفية الأخرى وكانت منظومتها التعليمية مؤسسة على:

(برنامج يومي - أساتذة - مراحل - طرق تدريس - علوم مقررة (مناهج)-عطل - إجازات).

إن ذلك النظام البيداغوجي الذي انتهجته الزوايا الرحمانية كزوايا الهامل كان سائداً في كل العالم الإسلامي وعلى زهادته، إلا أن بفضلها تم إنقاذ الشعب والمحافظة على هويته ومواجهة الجهل والتنصير وتخرج رجال حملوا المشعل إلى الأجيال الأخرى .

المنظومة التعليمية بزوايا الطريقة الرحمانية⁴⁴⁶ زاوية الهامل أنموذجاً (1830____1914)⁴⁴⁷

I- أسس الطريقة الرحمانية:

تميزت الطريقة الرحمانية⁴⁴⁸ عن بقية الطرق الصوفية الأخرى في كونها جمعت بين العلم والسلوك والجهاد⁴⁴⁹ ولذا فأسسها تتمثل في التربية والتعليم والتربية الروحية والجهاد:

1- التربية والتعليم:

⁴⁴⁶ هي رسالة ماجستير في التاريخ الحديث قدمها الطالب محمد بوكسية تحب اشراف البروفيسور بن يوسف تلمساني ، بمعهد التاريخ بجامعة الجزائر ، وقد نوقشت الرسالة يوم 2007/12/01،

⁴⁴⁷العنوان الاصيلي للرسالة كان " المنظومة التعليمية ووسائلها التربوية للطريقة الرحمانية، وزاوية الهامل القاسمية انموذجا 1830-1914. ⁴⁴⁸نشأت الطريقة الرحمانية في الجزائر في القرن 12هـ-18م على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم المعروف بالزواوي، والازهري ويعرف بالخلوي. وتاريخ ولادته غير معروف بالتدقيق وإنما ترجح المصادر والمراجع تاريخ ولادته فيما بين 1126هـ-1133هـ، وغدا رجحنا هذا التاريخ فإنه يتوافق مع عام 1715م بقرية بني إسماعيل ببلاد القبائل: للمزيد ارجع : Rinn(L): Marabous Et Khouanes, Etude

Sur L'slam En Algerie, Alger, Imp Adolphe Jourdan 1899, Pp 452 Et Suite ⁴⁴⁹محمد جعيجع: نقاط التقاطع بين الطريقة الرحمانية والطرق الأخرى، محاضرة القايت في ملتقى التربية الروحية في الطريقة الرحمانية ، زاوية الهامل يوم 2006/11/07، ص 01.

ركزت الطريقة الرحمانية على العلم وعمل المؤسس وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه على تأسيس زوايا العلم، وتنافست هذه الزوايا في تحفيظ القرآن الكريم ونشر العلم وتدريس العلوم العقلية والنقلية بفضل أستاذة أجلاء كان لهم الفضل في تكوين نخبة جزائرية فيما⁴⁵⁰ بعد حملت المشعل ووقفت في وجه التنصير والفرنسية والإدماج.

2- التربية الروحية:

كما ركزت الطريقة الرحمانية على التربية الروحية فاهتمت بالسلوك واعتنت بالنفس والروح والإرادة والضمير وكل ما ينمي علاقة الإنسان بخالقه وبدينه ويجعله مراقبا لعمله محاسبا لنفسه تواقا للخير⁴⁵¹. كما رأت إن هذه التربية الروحية أو التصوف إذا وجدت في صورتها الأصلية انسجمت مع منهاج النبوة وتكون من نتائجها أنها ترسخ في أبنائها روح العمل والشوق إلى الجهاد وحب الشهادة لأنه إذا تدفق الحب الإلهي ينتج عنه التجرد من الذات وتقابل الموت وجهها لوجه⁴⁵².

3- الجهاد:

ركزت الطريقة الرحمانية على الجهاد كأحد أسسها⁴⁵³ وتجلى ذلك في الثورات التي أعلنتها زوايا الطرق الرحمانية خلال القرن 19 م واستمرت حتى 1916 م⁴⁵⁴. وأمام عجزها العسكري أمام قوة فرنسا تفرغت زواياها للتربية والتعليم وظلت تؤدي دورها بما تميزت بها منظومتها التعليمية من خصائص.

II- المنظومة التعليمية للطريقة الرحمانية:

1- ظهورها:

في ظل نظام تعليمي يسير بلا سياسة ولا خطة رسمية ظهرت الطريقة الرحمانية مركزه بالأساس على التربية والأخلاق وهي ترى أن التربية الأخلاقية هي اللب والهدف الأسمى الذي ينبغي عليه كل شيء، فلم يرى الرحانيون أن التربية والتعليم حشو لأذهان بالمعارف رغم أهمية هذا الغرض بل هو تهذيب أخلاقهم وتقويم اعوجاجهم وصقل أرواحهم والعمل على الآداب السامية منذ غرهم حتى يشبوا عليها فتصبح عادة راسخة في سلوكهم⁴⁵⁵.

⁴⁵⁰ يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر بين القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دت، ص 344.

⁴⁵¹ عبد القادر فوضيل: المنهج التربوي في المؤسسة الدينية وسبل تطوره محاضرة القيت في ملتقى التربية الروحية والطريقة الرحمانية، زاوية الهامل يوم 08/11/2006، ص01

⁴⁵² السيد محمد عقيل المهدي: رسالة في الطرق الصوفية، ط2 دار الحديث القاهرة، دت، ص 155، ص 156.

⁴⁵³ عبد القادر زبادة: يشير إلى مخطوط الذي يؤكد على ان الجهاد دعيمة من دعائم الطريقة الرحمانية للمزيد أرجع إلى الأصالة، ع60-61، (أوت ، سبتمبر 1974).

⁴⁵⁴ قصد التوسع أرجع إلى يحيى بوعزيز: المرجع السابق: من ص 130، 199 وكذلك أرجع إلى: عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية، الوليد للنشر، الوادي- الجزائر- 2004، ص 238، ص 239.

⁴⁵⁵ رابع تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ش، و، ن، ت، الجزائر، دت، ص 108.

2- أهدافها وغاياتها:

لهذا كله ركزت المنظومة التربوية بزوايا الطريقة على الجانب الروحي أولاً لعلاقة الإنسان بالخالق واهتمت بالسلوك لأنها تهذب القلوب وتجعل من الفرد مواطناً صالحاً⁴⁵⁶.

فأهدافها تتمثل في تكوين فرداً مسلماً صالحاً موصولاً بربه، خادوماً لمجتمعه واقفاً في وجه السياسة الجائرة، وقد تجلت كل تلك الأهداف في سياسة الشيخ المؤسس وكل المشايخ الرحمانيين حين أسسوا زوايا لنشر العلم وحماية الدين والوقوف في وجه التنصير⁴⁵⁷ في اعتمادهم في تربيتهم على المعلم بالدرجة الأولى، حيث رأوا فيه عمدة التربية السلوكية فهو يمثل القدوة بل يمثل المعلم والمصلح والقاضي⁴⁵⁸، وعلى الزاوية كمجال للتربية الأخلاقية حيث ورأوا فيها أنها تلعب دوراً في تشكل أخلاق الطفل وسلوكه العام، وتنفرد كالمدرسة بعملية نقل التراث الفكري الذي تتكون منه ثقافة المجتمع إلى الأجيال الصاعدة من أبنائه لإعدادهم للحياة فيه والمحافظة على تراثه، ولتحقيق ذلك عملت الطريقة الرحمانية عبراً زواياها إلى ما يلي حيث :

- أ. وضعت بناء هرمياً لمراحل التعليم (قسم المبتدئين وقسم علوم الدين)⁴⁵⁹.
- ب. وضعت لكل مرحلة مناهج يسير عليها الأساتذة وكتباً يتبعونها مقرررة لكل مرحلة وأوقاتاً لدراسة والعطل المدرسية وطريقة المكافآت والعقوبات وتقديم الإجازات.
- ج. اختار أساتذة واشترطت فيهم شروطاً وآداباً.
- د. وضعت بناء هيكلياً تعليمياً في الزاوية تمثل في أماكن الدرس وغرف نوم الطلبة والمكتبة ونظماً داخلياً وإشرافاً بيداغوجياً.

هـ. ووضعت نظاماً إدارياً محكماً، هدفه خدمة التربية ولا تتداخل فيه المهام ولا الصلاحيات.

و. كما ضبطت المتعلمين بنظام داخلي قوامه السلوك والعلم الرفيع، وهذا ما نجده في زوايا الطريقة الرحمانية ابتداءً من زاوية آث إسماعيل ومروراً بزوايا المختار بأولاد جلال ووصولاً إلى زاوية الهامل القاسمية العامرة.

3- تطورها:

في الوقت الذي كانت فيه السلطات الاستعمارية تقوم بإبادة الشعب ووضعت إستراتيجية على المدى البعيد، لتكوين جيل من الجزائريين مفصول عن ماضيه وثقافته⁴⁶⁰، راحت زوايا الطريقة الرحمانية تعمل على تطوير منظومتها التربوية ووسائلها، وفق المستجدات والظروف الجديدة باستمرار.

⁴⁵⁶ بالقاسم شتون: التربية للروحانية في الطريقة الرحمانية، محاضرة القيت في ملتقى التربية الروحية في الطريقة الرحمانية، زاوية الهامل 2006/11/08، ص

1.

⁴⁵⁷ نفسه، ص2

⁴⁵⁸ لمعرفة اداب المعلم ارجع إلى محمد عبد المعمر خفاجي: الأزهر في ألف عام، ج1، المطبعة النبرية بالأزهر، 1955، ص78.

⁴⁵⁹ رابع تركي، المرجع السابق، ص294.

⁴⁶⁰ عبد الحميد حاجيات: الثقافة الشعبية ودورها في الحفاظ على مقومات شخصيتنا الوطنية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 3، معهد التاريخ،

جامعة الجزائر، 1987، ص116.

III- نظامها البيداغوجي وخصائصه:

لقد امتازت هذه المنظومة التربوية ببرامجها اليومية للطلبة ومناهجها التعليمية وبطرق التدريس وتعطلها وبنظامها التعليمي المميز.

1- البرنامج اليومي لطلبة الزاوية:

فإذا أخذنا زاوية الهامل القاسمية⁴⁶¹ كنموذج لكل الزوايا الرحمانية الأخرى نجد أن الطلبة بعد إقامة صلاة الفجر، يتناولون الفطور ثم يتوجهون إلى اللوح وحفظ القرآن (من ثمن إلى ربع حزب) إلى غاية الساعة العاشرة ليتلقى الطلبة دروسا في التجويد بمسجد الزاوية، وبعد تناول وجبة الغداء وأداء صلاة الظهر يعودون إلى الكتاب لحفظ القرآن حتى قبيل العصر فيقرؤون الحزب الراتب ثم الصلاة وبعدها يتلقون دروسا في الفقه حتى المغرب وصلاته ثم يقرؤون الحزب الراتب أيضا، وبعد صلاة العشاء وتناول وجبتهم، تتم قراءة اللوح ثم مراجعة الدروس حتى ساعة النوم، فيتوجه كل واحد منهم إلى سريره وفي هذا يقول أحمد توفيق المدني: "الدراسة وتفسير القرآن، إلى جانب صلاة الجماعة والذكر في ساعات الذكر، يحفظون القرآن حفظا متقنا ويقضون سحابة اليوم في تعلم التفسير، الحديث، الفقه المالكي، ويعقدون مجالس المحاضرة.. ويصلون جماعة، ويردفون الصلاة بما يتلون من أوراد ودعاء ثم يتوجهون إلى حجراتهم، هذا يحفظ متنا وآخر يراجع دروسه⁴⁶²..".

وهذا البرنامج قابل للتعديل حسب حاجة المجتمع ونوعية المادة العلمية وكذلك وفقا لإمكانيات الزاوية كانت المناسبات الدينية عطلا لتقائية للمتمدرسين ونظرا لطابع المنطقة الرعوية والظروف المناخية التي كانت تسودها فقد كانت تبدأ العطلة الصيفية من نهاية أفريل وتستمر إلى غاية شهر سبتمبر.

2- أنواع التعليم:

أ- التعليم العام أو الشعبي:

وهو تعليم انتهجه الشيخ المؤسس سي محمد بن أبي القاسم وخلفاؤه، كما انتهج في كل زوايا الطريقة الرحمانية، وما يمتاز به:

- أنه موجه إلى الوافدين والزائرين.
- أنه موجه إلى المصلين عقب الصلاة .
- أنه موجه إلى الأتباع والمرئدين الوافدين في المناسبات الدينية، إلى الزاوية كليلة السابع والعشرين في رمضان وليلة المولد النبوي الشريف.
- أنه موجه إلى الزائرين والحجاج وعابري السبيل⁴⁶³.

⁴⁶¹ للمزيد حول المؤسس سي محمد بن أبي القاسم ارجع إلى: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت، لبنان، 1993، ص 335، ص 336. محمد بن الحاج محمد: الزهر الباسم، في ترجمة محمد بن أبي القاسم، الطبعة الرسمية، تونس، توفى سنة 1890. أما عن تأسيس زاوية العهامل القاسمية ارجع إلى أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الاسلامي في 1998، ص 161.

⁴⁶² احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص 94.

⁴⁶³ عمر بوخروفة: دور بعض الطرق الصوفية (الرحمانية- الشيعانية) وموقف الحكومة الفرنسية منها (1870-1900). مذكرة السنة الأولى ماجستير - معهد التاريخ- جامعة الجزائر 1988، 1989، ص 24.

أما مضامين ما يقدم فتتمثل في:

- الدروس والفتاوى والمحاضرات، وكان الهدف من هذا النوع من التعليم هو التوعية. والتذكير بالثواب وتركيب النفس وإيقاظ الجانب الروحي وشحن الهمم ورفع المعنويات لمواجهة مخططات الاستعمار التبشيرية.⁴⁶⁴
- المحافظة على الدين الإسلامي ونشر تعاليمه على كل الشرائح ونشر الثقافة العربية⁴⁶⁵.
- ونظرا لهذه الأهداف فقد امتازت مضامينه: بالتنوع فهي تمس الجانب العقائدي والأخلاقي للفرد كما تمتاز بمستواها الراقى وتماشيا مع المناسبات وعدم خضوعها للتوجيهات والرقابة.

* أماكنها وأساتذتها:

في المسجد: تقدم يوميا الدروس والفتاوى عقب كل صلاة⁴⁶⁶، أما في المسجد أو الساحة فتقدم خطب الجمعة والمحاضرات والخطب في الأعياد وفي المناسبات الدينية، وكان يقدمها شيخ الزاوية أو أحد الأساتذة المتواجدين أو يلقونها الأساتذة الزائرين المشهورين الذين⁴⁶⁷ يفدون على الزاوية من حين لآخر من داخل الوطن أو من خارجه، أو يقدمها بعض التلاميذ النجباء الجازين من طرف الشيخ المؤسس⁴⁶⁸.

ب - التعليم النظامي وأقسامه:

يشتمل التعليم النظامي على قسمين :

أولاً: قسم تحفيظ القرآن وهو بمثابة التعليم الابتدائي والإكمالي

ثانياً: قسم علوم الدين وهو بمثابة التعليم الثانوي والعالي.

أولاً: قسم تحفيظ القرآن (قسم المبتدئين):

تعريفه: هو قسم مخصص لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وهي مرحلة أساسية لمواصلة الدراسة وتقسم إلى ثلاث مراحل:

- مرحلة المبتدئين: حيث يكون هؤلاء المبتدئين في بداية حفظ القرآن ويحتاجون إلى مساعدة.

- مرحلة المعيدين: ويكون هؤلاء المعيدين قد ختموا القرآن، ويعيدونه لإتقان حفظه ويساهم هؤلاء في مساعدة المعلم في تعليم المبتدئين.

- مرحلة تحفيظ القرآن: حيث يكون هؤلاء الحفظة للقرآن الكريم قد ختموا كتاب الله وحفظوه مرات عديدة فيخلفون المعلم عند غيابه ويساعدونه في تعليم الطلبة.⁴⁶⁹

⁴⁶⁴ رايح تركي: أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 173.

⁴⁶⁵ محمد حرزلي: تلميذ سابق بالزاوية القاسمية - لقاء خاص - بتاريخ 2006/04/21.

⁴⁶⁶ أحمد الوهي: تلميذ سابق بالزاوية القاسمية - لقاء خاص - بتاريخ 2006/04/21.

⁴⁶⁷ علي الوهي: تلميذ سابق بالزاوية القاسمية - لقاء خاص - بتاريخ 2006/04/21.

⁴⁶⁸ عيسى بن القبي: زاوية الهامل ودورها الثقافي والاجتماعي 1863-1962. رسالة ماجستير غير منشورة- معهد التاريخ- جامعة الجزائر

2000-2001، ص 97.

⁴⁶⁹ المأمون القاسمي: المحاضرة السابقة، ص 4.

إن هذه المراحل يقصدها كثيرا التلاميذ الصغار أبناء المنطقة أو أبناء المداشر القريبة أو أبناء الرحل للإقامة، أما أبناء القرى البعيدة فكانوا يواصلون تعليمهم في الكتاتيب القريبة من مقر سكنهم. وقد عمل هذا النوع من التعليم في الحد من انتشار الأمية، فالإقبال عليه كان في سن مبكر، كما أنها سمحت بإيجاد جيل من المعلمين الذين ساهموا في تعليم النشء وتحفيظ القرآن وبناء الكتاتيب في كل المناطق المجاورة.

ثانيا: قسم علوم الدين:

تعريفه: وهو بمثابة المرحلة الثانوية والعالية وفيه يتم تدريس علوم الدين وفنون اللغة العربية إلى جانب العلوم الأخرى ويبدأ الطلبة في دراسة المتون وينقسم إلى ثلاثة مراحل: (الحجازون، والسباقون، والنظارون):

* **الحجازون:** هؤلاء يكونون من المبتدئين في قراءة الكتاب محل الدرس (أصحاب المتن) فإذا جلس هؤلاء في حلقة العلم جلس النظارون حول الشيخ ثم السباقون ثم الحجازون.⁴⁷⁰

* **السباقون:** أو أصحاب الشرح هؤلاء يرخص لهم الشيخ باستعمال الشرح والتدريس للمبتدئين ويكون هؤلاء قد ختموا الكتاب موضوع الدرس⁴⁷¹ أكثر من مرة وقد يأذن الشيخ للناهجين منهم بتقرير الدرس للمبتدئين.⁴⁷²

* **النظارون:** ويكون هؤلاء قد ختموا كتاب الله أكثر من ثلاث مرات وينوبون على الأستاذ إذا غاب، كما يقوم هؤلاء بتدريس السباقين.

فإذا اجتاز الطالب هذه المرحلة أصبح شيخا مجازا وتمنح له الإجازة من طرف الشيخ ويصبح بذلك شيخا من شيوخ العلم في تخصصه.

ومن خصوصيات هذه المرحلة الأخيرة من التعليم أنها فترة تربص، حيث يكلف فيها الطالب بإلقاء الدروس على من دونه من الطلبة تحت إشراف الشيخ (أستاذ المادة). فيثبت الطالب ويجاز، وبسبب هذا النظام المتناسق اعتبرت زاوية المهامل القاسمية من أهم الزوايا الرحمانية في المنطقة لانفرادها بنظام تعليمي واضح منذ تأسيسها.

3- طرق التدريس:

ففي قسم تحفيظ القرآن أو التعليم الخاص بالمبتدئين، تعتمد طرق التدريس على:

- أ- تلقين الطلبة الجدد الحروف الأبجدية، كما يكتب السور الأولى من القرآن حتى يتعودوا على ذلك.⁴⁷³
- ب- يقوم المعلم بإجراء امتحان شفوي للتلميذ، فإذا أقر بأن السورة قد حفظت يجيز له محو اللوحة وينتقل التلميذ بطريقة آلية إلى السورة الموالية.

والعملية لا تتوقف عند هذا الحد فيجتمع الطلبة يوميا لقراءة الحزب الراتب جماعيا.⁴⁷⁴

⁴⁷⁰ المأمون القاسمي، المرجع السابق، ص 5

⁴⁷¹ نفسه، ص 7

⁴⁷² نفسه، ص 7

⁴⁷³ علي الوهبي: لقاء خاص بتاريخ 2006/04/21.

⁴⁷⁴ المأمون القاسمي: المحاضرة السابقة، ص 7.

وفيه يجبر كل طالب على الحضور دون استثناء فالهدف من التلاوة هو الأجر من الله والاستذكار، ففي هذه الحلقة نظام خاص بالجلوس فيترتبون حسب درجة حفظهم للقرآن.

فيجلس إلى جانب المعلم الحفاظ ثم يليهم المعيدون ثم يجلس المبتدئون، هذا بالنسبة للمبتدئين، فهذه الطريقة ليست بسن معين أو بمدة معينة بل مرتبطة بتخرج الطالب يتحقق الهدف المسطر له وهو ختم وحفظ القرآن، وعليه فإن طريقة الجلوس في حد ذاتها طريقة تربوية تحفز الطالب على الحفظ للجلوس قريبا من المعلم.

اقتصر هذا النوع من التعليم على التلاميذ القاطنين بعيدا عن الزاوية ولذا لجأ الشيخ المؤسس إلى وضع زوايا أو كتاتيب في كل من بوسعادة ومجدل⁴⁷⁵ وعين العلق لتفادي انقطاع بعض الطلبة، أما البعيدون من التلاميذ عن مقر الزاوية فكانت لهم كتاتيب في كل قرية لحفظ القرآن. أما الرحل فكانوا يتكئون أبناءهم بالزاوية.

وبهذه الطريقة استطاع الشيخ المؤسس محمد بن أبي القاسم وخلفاؤه أن يوفروا حظوظا لأبناء المنطقة كي يحفظوا كتاب الله ويتعلموا القراءة والكتابة. وبذلك يكون قد وقف في وجه سياسة التجهيل وتوفير جيل من المعلمين لتعليم القرآن في مناطقهم، وعموما فطريقة التدريس في قسم تحفيظ القرآن كانت تعتمد على التلقين والإملاء أحيانا هذا من جانب المعلمين والاستماع والحفظ من جانب المتعلمين.⁴⁷⁶

أما في قسم علوم الدين فتختلف الطريقة فيجلس الشيخ أو الأستاذ ويلقي الدرس الذي حضره متبعا الشرح بأسلوب مبسط لتقريب الفهم وتسهيل الاستيعاب⁴⁷⁷، فيتعمق الأساتذة في الدروس وفي سبيل ذلك كانوا يقضون الأوقات الطويلة في التحضير وكانوا يصبرون على المناقشة في المسائل المختلفة مع الطلاب حتى يتمكن هؤلاء من بلوغ أهدافهم في التحصيل.⁴⁷⁸

4- العلوم المقررة للتدريس:

ومن العلوم التي كانت تدرس هي تلك العلوم التي كانت تدرس في كل من الجزائر آنذاك وبالتالي فإن نوعية هذه العلوم هي العلوم الشرعية (الإسلامية) التي كانت سائدة في كل العالم الإسلامي آنذاك خلال العهد العثماني حتى نهايته وأثناء الوجود الفرنسي⁴⁷⁹ وتمتاز بأنها تربية دينية ولغوية وأدبية في الأساس مع بعض العلوم الفلسفية والعلمية⁴⁸⁰ ونعني بها كل العلوم التي لها صلة بالدين مثل المنطق والحساب والفلك.⁴⁸¹

فالعلوم المقررة للتدريس في قسم تحفيظ القرآن أو في مستوى تعليم المبتدئين، حيث يكون التلاميذ صغارا فيكون التركيز على المواد التالي:

✓ حفظ القرآن الكريم: حيث يكون حفظه كاملا أو ما تيسر.

⁴⁷⁵ أنجبت الكثير من العلماء وهي دائرة من دوائر ولاية المسيلة حاليا.

⁴⁷⁶ محمد حرزلي: لقاء خاص بتاريخ 2006/11/11.

⁴⁷⁷ رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982، ص 239، ص 240.

⁴⁷⁸ العيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا العدد3 معهد العلوم الاجتماعية قسنطينة 1980، ص 24.

⁴⁷⁹ عبد القادر زيادية: مملكة شنغاي في عهد الاسقيا (1493-1591) ش، و، ن، ت، الجزائر، د، ت، ص 140.

⁴⁸⁰ رابح تركي: أعلام الجهاد الاسلامي في الجزائر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر، السنة15، ع8، 1405هـ/1984م، ص 101.

⁴⁸¹ نفسه، ص 101

- ✓ إضافة إلى قراءة ثلاثة أحزاب منه قبيل الفجر أو بعده .
- ✓ الخط.
- ✓ القراءة.
- ✓ النحو والصرف : حيث يدرس التلميذ الاجرومية وملحمة الإعراب والأزهرية .
- ✓ الفقه والسيرة وأصول الدين ⁴⁸² .
- ✓ التفسير: حيث يكون تفسير الواحد كمرجع دراسي.
- ✓ الفقه والسيرة وأصول الدين.
- ✓ الحديث : يدرس فيه شرح العارف بالله - عبد الله بن أبي حمزة - ⁴⁸³
- أما العلوم المقررة للتدريس في قسم علوم الدين (مستوى التعليم الثانوي والعالي) .
- وهما مرحلتان متداخلتان كحالة التعليم قبل مجيء الفرنسيين أو كحالته في كل بلدان العالم الإسلامي فنجد مثلا:
- ✓ مادة حفظ القرآن كركيزة لكل العلوم لإضافية إلى قراءة 3 أحزاب قبل الفجر أو بعده، وقراءة الحزب بعد صلاة العصر وحزبين بعد المغرب والعشاء.
- ✓ أما في الفقه: فيدرس الطالب فقه الإمام مالك.
- ✓ وفي النحو والصرف: يدرس قطر الندى وشذوذ الذهب وشرح المكودي للألفية ⁴⁸⁴ .
- ✓ أما السيرة: فتدرس في شهر ربيع الأول والثاني ، حيث يدرس كتاب القاضي عياض ، والشمائل الحمديّة للترمذي ، وأبي حمزة في سير الأحاديث النبوية .
- ✓ الحديث: يدرس في الربيع، حديث شريف من صحيح البخاري وشروحه.
- ✓ إضافة إلى التوحيد والعقيدة.
- ب- العلوم المقررة في مستوى التعليم العالي:**
- أما حفظ القرآن الكريم فيبقى كما هو .
- وفي مادتي النحو والصرف: تراعي الظروف ويرتفع المستوى فيدرس الطلبة:
- ❖ شرح ابن عقيل للألفية.
- ❖ شرح الاشموني للألفية.
- ❖ شرح ابن يعيش المفصل ⁴⁸⁵
- أما في الفقه والسيرة وأصول الدين والتفسير، فيبقى التوسع في برنامج مستوى التعليم الثانوي مع اعتماد نفس المراجع.

⁴⁸² نفسه

⁴⁸³ محمد علي دبوز: نَهضة الجزائر وثورتها المباركة، الطبعة التعاونية ، الجزائر ، 1965، ص ص 66-67.

⁴⁸⁴ محمد علي دبوز، المرجع السابق.

⁴⁸⁵ نفسه، 70

أما فيما يخص العلوم الاختيارية والتي لم يكن لها برامج مضبوطة. فتعليم البلاغة مثلا كان يبدأ برسالة البيان للدردير ثم الجوهر المكنون في ثلاثة فنون والبيان والمعاني لسيدى عبد الرحمن الاخضري، ثم مجالات أدبية في الشروح⁴⁸⁶ وعلى كل فإن هذه الفنون تخضع في دراستها لاجتهاد الشيخ ورغبة الطلبة الذين يطلبون كتابا معيناً فيأخذ الشيخ في الحلقة ويدرسه ويتوقف عند بعض مسائل اللغوية والفقهية ويناقشه الطلبة، وبذلك يتطرقون إلى كثير من الكتب⁴⁸⁷ ، وكانت المناهج الدراسية تحدد في شكل كتب فيقال : طبقة الاجرومية وطبقة القطر وطبقة الألفية⁴⁸⁸.

5- الأسلوب المتبع:

وقد روعي التدرج في التدريس من السهل إلى الصعب مراعين سن التلميذ وقدراته العقلية ومن البسيط إلى المقعد عبر كل المراحل التي يقطعها الطالب، فلو أخذنا مادة اللغة العربية مثلا : في القسم الأول يدرس كتاب الأجرومية وبه يلج التلميذ إلى الدراسات اللغوية ، إلى أن تتم دراسة قطر الندى في علوم الدين ، وفي المرحلة العالية يدرس ألفية بن مالك⁴⁸⁹.

أما في الفقه: يحفظ التلميذ الحبل المتين أو ما يسمى بمتن ابن عاشر في المرحلة الأولى، ثم بعد ذلك يدرس متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

وفي التعليم العالي يدرس مختصر خليل ابن إسحاق المالكي، وحتى مختصر خليل كان يدرس في البداية على شرح الخرشبي ونظرا لصعوبته على الطلبة أصبح يدرس في البداية على شرح الخرشبي ونظرا لصعوبته على الطلبة أصبح يدرس بشرح الدردير بحاشية الدسوقي.

أما التفسير فيعتمد على كتاب الواحدي، وفي الحديث على عبد الله ابن حمزة. وفي السيرة يعتمد على كتاب سيرة ابن هشام⁴⁹⁰.

وقد روعي السن والمناخ والظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية وهذا ما تراعيها المدارس المتطورة حاليا.

الاستنتاجات:

لقد كان الأسلوب المتبع بزواية الهامل أنموذجا وتقليدا لما كان سائدا لا في كل الزوايا الرحمانية بل تقليدا لما كان سائدا في العصور المتأخرة بالنسبة للتعليم في العالم الإسلامي ومتبعا في مختلف المعاهد والجامعات المعروفة كجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس⁴⁹¹ في مملكة سنغاي منذ القرن 16م وفي كل

486 نفسه

487 عيسى بن القبي: المرجع السابق، ص 104.

488 نفسه

489 نفسه

490 محمد حرزلي: لقاء خاص بتاريخ 2007/02/10.

491 نفسه

492 حواضر وبوادي الجزائر⁴⁹³ بما فيها إقليم توات⁴⁹⁴ حيث كان التعليم يتم على شكل حلقات فيجلس الأستاذ وحوله الطلبة⁴⁹⁵، كما امتاز بالأسلوب البسيط المتبع في إلقاء الدروس وكان ذلك أنموذجا سائدا في العالم الإسلامي. ويبدو ظاهريا أن الزاوية اكتفت بالدروس النظرية، لكن بعد التتبع تبين أنها خصصت مرحلة التعليم العالي لتدريب الطلبة وإعدادهم لفهم والبحث والتدريب التطبيقي للتدريس بعد التخرج. وما استنتجت أيضا:

للمحافظة على اللغة والدين والوطن اهتمت الزوايا الرحمانية بالعلوم الدينية واللغوية فقط⁴⁹⁶ ونرى انها تمكنت بذلك من تحقيق الأهداف التي سطرتهما إلى حد بعيد وان لم تأتي بالجديد واكتفت بالتقليد⁴⁹⁷ فان بذلك تمكنت من الحفاظ على التراث من الضياع والاندثار في ظل سياسة فرنسية جائرة. ورغم ما ميز تعليم الزوايا الرحمانية من زهاده، إلا أنها كانت الملاذ الوحيد وشاطئ الأمان لكل الشعب الجزائري⁴⁹⁸ أما مهمة التدريس فكانت توكل إلى شيخ الزاوية أو إلى أساتذة كما يمكن الاستعانة⁴⁹⁹ بطلبة لهم كفاءة أو أساتذة تم جلبهم من الخارج الزاوية ولقد اهتمت زوايا الطريقة الرحمانية بالمعلم وجعلته أساس العملية التعليمية وعمودها الفقري فهو يمثل القدوة الحسنة القاضي والأب⁵⁰⁰

- ففي زوايا تحفيظ القرآن يعتمد على المعلم ويلقب بالطالب ويكون في الطالب سعة الاطلاع فيتولى تعليم الخط وتحفيظ القرآن وتدريب بعض أمور الفقه الإسلامي وينادي بأنعم سيدي.

- لقد كان الاعتماد في زوايا الطريقة الرحمانية على المعلم كعنصر أساسي في العملية التعليمية وكان التركيز على اتجاهات المعلم النفسية والدينية وهذه الاتجاهات وفرت جوا خاصا بالمبادرة والفعالية، فابتكر هذا المعلم طرقا بيداغوجية تصارع احداث الطرق التي توصلت إليها علوم النفس والتربية وجمع الأفواج وطريقة الجلوس والعمل التنظيمي في التعليم العالي والمكافئة والعقاب⁵⁰¹.

لقد تشابهت زوايا الطريقة الرحمانية في البرنامج المقدم وهو نفسه المقدم في المساجد الجزائرية⁵⁰² وفي صحرائها وفي إقليم توات وفي مملكة سنغاي وفي كل جامعات العالم الإسلامي آنذاك.⁵⁰³

492 العربي إسماعيل: الدراسات العربية في الجزائر، موك، الجزائر، 1986، ص 76، ص 80.

493 عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 141، 149.

494 مصطفى زايد: من المؤسسات التربوية بالجلفة- مجلة ثقافية- الجزائر، العدد 93، 1986، ص 117، 131.

495 فرج احمد فرج: إقليم توات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ديوان المطبوعات، الجامعية، الجزائر 1977، ص 106.

496 عيسى بن القبي: المرجع السابق، ص 114.

497 مصطفى زايد: المرجع السابق، ص 131.

498 نفسه، ص 131

499 نفسه، ص 131

500 يحيى بوعزيز: أوضاع المؤسسة الدينية في الجزائر خلال القرنين 19م، 20م، ص 16

501 أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط3، دار الغرب الاسلامي 1998، ص 32.

502 مصطفى زايد: المرجع السابق، ص 131.

503 نفسه

- ان بهذا النظام تكون زوايا الطريقة الرحمانية قد تجاوزت مشكلة تعدد المستويات وفي فترة وجيزة يتعلم التلاميذ الخط والقراءة وحفظ القران، ومع سن التلميذ تظهر النتائج بسرعة وتنعكس على سلوك التلميذ وأدائه.

الخاتمة

ومن خلال هذا التفحص في المنظومة التعليمية في زوايا الطريقة الرحمانية نجدها بحق منظومة تعليمية متكاملة وذلك لوجود مراحل تعليمية ومناهج طرق تدريس وأساليب ووسائل تعليمية وعطل ونظام داخلي وإجراءات ونظام إداري محكم.

وقد تبدو هذه المنظومة بسيطة في شكلها ولكنها كانت عظيمة في رسالتها ماثرة في مفعولها ونابعة من بيئتنا وتنم عن أصالتنا.

وتمكنت الزوايا بفضلها من:

- 1- نشر العلم في أوساط الجزائريين.
- 2- المحافظة على اللغة العربية.
- 3- مواجهة التنصير والإدماج.
- 4- تخريج دفعات تمكنت من حمل مشعل الثقافة.
- 5- الحفاظ على هويتنا ومقوماتنا الحضارية.